الوزارة

- أصل الوزارة:

الوِزَارةُ بكسر الواو أو فتحها: حال الوزير ومَنْصِبُهُ.

والوَزير كلمة مشتقةٌ من الوِزْر وهو الثِّقَلُ؛ لأن الوزير يحمل أعباءَ الحكومةِ. والوزير هو المُوزِرُ، وهو خَاصَّةُ المَلِكِ الذي يحمل ثِقْلَهُ، ويعينه برأيه.

ويقال أيضاً إن الوزارة من الوزر وهو الجَبَلُ المَنيعُ، وهو الملجأ والمعتصَمُ؛ فهو يُلجأ إليه، ويُرْجَعُ إلى رأيه وتدبيره.

يقول ابن خلدون: «إن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمراً ثقيلاً، فلا بدَّ من الاستعانة بأبناء جنسه، وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه، وسائر مهنه، فما ظَنُّكَ بسياسة نوعه ومن استرعاه من خلقه وعباده».

وقد طلب موسى ـ عليه السلام ـ من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يَمدَّه برجل من أهله يستعين به على القيام بأعباء الحكم. قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ **وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾ [٢٩-٣٢ طه]

والوزارة فارسية الأصل، وليست من مستحدثات الإسلام، بل هي أقدم عهداً، فقد عرفت مسؤوليات المنصب أيام قدماء المصريين، وعرفت الوزارة لدى بني إسرائيل.

وكان النبي محمد ﷺ يخُصُّ أبا بكر الصديق ببعض الأمور. وكان العرب الذين خالطوا الفرس والروم قبل الإسلام، وعرفوا وظيفة الوزير عنهم يسمون أبا بكر (وزير النَّبي).

وكان عمر بن الخطاب في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - يقوم بمهام أشبه بمهام الوزير، كذلك كانت منزلة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب عند عمر بن الخطاب- رضي الله عنهم- فكان يستعين بآرائهما، ويكلفهما الكثير من مهام الدولة. وكان عَمَلُ كُلٍّ منهما أشبه بعمل الوزير وإن لم يطلق على أيٍّ منهما هذا الاسم.

وعندما انتقلت الخلافة إلى بني أميَّة واستحالت إلى ملك وراثيٍّ احتاج الخلفاء إلى من يستشيرونه ويستعينون به، فاختاروا بعض ذوي الرَّأي لهذه الغاية وقربوهم وأحسنوا إليهم، وسمحوا لهم بحضور مجالسهم، فكان هؤلاء في الواقع يقومون بعمل (الوزير) وإن لم يطلق عليهم لقب وزير.

وَمَعَ ذلك فإنَّ زياد بن أبيه كان يُلقَّبُ بالوزير في عهد معاوية بن أبي سُفيان.

واتخذَ العباسيون نظم الحكم في الدولة العباسية عن الفرس، ومنها الوزارة. وكان الوزير في عهدهم ساعد الخليفة الأيمن، يقضي باسمه في جميع شئون الدولة فكان له الحقُّ في تنصيب العمال في الأقاليم، والإشراف على جمع الضرائب، والقيام على موارد الدولة ومصروفاتها، كما كان له الإشرافُ على (ديوان الرسائل).

وكان ينوب عن الخليفة في حكم البلاد، ويجمع بين السلطتين المدنية والحربية إلى جانب الواجبات العادية في نصح الخليفة ومساعدته.

يقول ابن خلدون: «فلما جاءت دولة بني العباس، واستفحل المُلْكُ وَعَظُمتْ مراتبهُ وارتفعت عَظُمَ شأنُ الوزير، وصارت إليه النّيابَةُ في إنْفَاذ الحل والعقد، وتعينت مرتبته في الدولة، وجُعلَ لها النَظَرُ في ديوان الحُسْبان، لما تحتاج إليه خُطَّتهُ من قَسْمِ الأعطيات في الجُند، فاحتاج إلى النظرِ في جمعه وتفريقه، وأضيفَ إليه النظر فيه، ثُمَّ جُعلَ لَهُ النّظَرُ في القلم والترسيل لصَوْن أسرار السُلطان، ولحفْظ البلاد.. وجُعلَ الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذَّياع والشَياعَ، ودُفِعَ إليه، فصار اسمُ الوزير جامعاً لخُطَّتي السيف والقلم، وسائر معاني الوزارة والمعاونة، حَتَّى لقد دُعِيَ جعفر بن يحيى البرمكي بالسلطان أيام الرشيد، إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة، ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا الحجابة التي هي القيام على الباب، فلم تكن له لاستنكافه عن مثل ذلك.

وفي صفات الوزير، وتاريخ نشأة الوزارة في الدولة الإسلامية تقرأ لابن طباطبا في كتابه (الفخري): «الوزير وسيط بين الملك ورعيته، فيجب أن يكون في طبعه شطر يناسب طباع الملوك؛ وشطر يناسب طباع العوام ليعامل كُلاً من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة. والأمانة والصدق رأس ماله، والكفاءة والشهامة من مهماته، والفطنة والتيقظ والدهاء والحزم من ضروریاته، ولا يستغني أن يكون مفضالاً مطعاماً ليستميل بذلك الأعناق، وليكون مشكوراً بكل لسان. والرفق والأناة والتثبت في الأمور

والحلم والوقار والتمكن ونفاذ القول مما لا بد منه». والوزارة لم تتمهد قواعدها، وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس، فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد، ولا مقررة القوانين، بل لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية. فإذا حدث أمر استشار ذوي الحجا والآراء الصائبة، فكل منهم يجري مجرى الوزير. فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة، وسُمي الوزير وزيراً، وكان قبل ذلك يسمّى كاتباً أو مشيراً.

- مراسم تنصيب الوزير:

إذا ما رُشحَ شخص للوزارة كان الخليفة يرسل إليه اثنين من الأمراء يحملان كتاب الخليفة إليه، فيسير إلى دار الخلافة، ثُمَّ يمثُلُ بين يدي الخليفة، ثم ينصرف إلى حجرة أخرى ليرتدي لباس التشريف، ثم يمثل به أمام الخليفة فيُقبل يده، وينصرف، فإذا بَلغَ الباب ألفَى حصَاناً مُزيَّناً في انتظاره، فيمتطيه ويذهب به إلى (دار الوزارة)، وقد سبقه كبار الموظفين والقواد ورجال البلاط وحجَّاب القصر والموالي، فإذا وصَلَ تَرجَّل وَسْطَ مظاهر الاحتفال، ثم يُقْرأ سِجلّ تعيينه.

- أطابك «أتابك»:

لَقَبٌ كان يُطْلقُ على الأمراء الأتراك الذين تقاسموا مُلك السلاجقة ابتداء من عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م، وكان أول من لُقب بهذا اللقب نظام الدولة بن ألب أرسلان، حين فَوّض إليه ملكشاه تدبير الملك عام ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م، ولقبه بألقاب منها هذا اللقب. وقيل (أطابك) معناها (أميرأب) والمراد (أبو الأمراء)، وهو أكبر الأمراء المقدمين.

ولم يكن للأتابك في أول الأمر وظيفة ترجع إلى حكم أو أمر أو نهي، إنما كانت غاية منح اللقب رِفْعَةَ المحَل وعُلُوَّ المقام. وكان (نظام الملك) أحد الوزراء الأفذاذ في العهد السلجوقي ٤٣٢-٥٨٣هـ/ ١٠٤٠-١١٨٧م قد رأى أن يُقْطِعَ القادة والمبرزين في الدولة إقطاعات بدل الرواتب التي يتقاضونها بعد أن وجَدَ أنّ الأموال لا تجيء بانتظام من البلاد لاختلال في شئون الإدارة فيها.

ولم يكن في هذه الإقطاعات خَطر على سياسة الدولة إبَّان قوتها، فلما بدأ ضعفها عَمدَ كُلُّ مالك إلى إقطاعه وعاش فيه مستقلا عن السلاجقة، فاستغل بعض الأتابك وضعهم، فصاروا يوسعون نفوذهم وينشرون سلطانهم باسم أمراء السلاجقة.

ومن الأتابكيات التي كان لها شأن بارز في ذلك العهد أتابكيات دمشق، والموصل، والجزيرة بالعراق وغيرها . .).

وكانت دولة خوارزم إحدى دول الأتابكة التركية؛ التي نافست دولة السلاجقة، وكان مؤسسها محمد بن أنوشكتين الذي لُقّبَ بخوارزم شاه، أي ملك خوارزم.

- أمير الأمراء:

ظَهَرَ هذا اللقبُ في عهد الخليفة الراضي، من خلفاء العصر العباسي الثاني (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م)، وكانت الفوضى قد كَثُرَتْ، والمؤامرات قد توالت، ومصادرة الأموال قد تكررت . . وأصبح كرسي

الوزارة أرجوحة يتداوله أشخاص عديدون، ابن الفرات تارة، وعلي بن عيسى تارة، وحامد بن العباس وابن مقلة أخرى وغيرهم . . ولم يكن أحد يطمئن على نفسه ولا على ماله. واستقلَّ الوُلاةُ عن السلطة المركزية، وقَلَّت الأموال التي تُحْمَلُ إلى العاصمة، واستولى بنو بويه على فارس.

فأنفذ الخليفة الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م) لابن رائق رسولا يُعَرِّفُهُ أنه قَلَّدَه الإمارة ورياسة الجيش وجعله أمير الأمراء، وَرَدَّ إليه تدبير أعمال الخراج؛ والضِّياعْ؛ وأعمال المُعاون في جميع النواحي، وفَوَّضَ إليه تدبيرَ المملكة، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر في الممالك وبأن يُكَنَّى، وأنفذَ إليه الخلعَ واللواء. لكن هذا المنصب لم يضعْ حدا للاضطراب، بل سبَّب زيادة الفوضى؛ إذ تطاحَن عليه كبار القادة.

لقد بدأ عصر (إمارة الأمراء) قبل البويهيين بعشر سنوات، وآل هذا اللقب أخيراً إلى بني بُوَيه. وكان مُعِزُّ الدولة أولَ من لقب به منهم.

وفي فترة إمْرَة الأمَراء بَطُل أمرُ الوزارة، فلم يكن الوزيرُ ينظر في شيءٍ من أمر النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط، وأن يحضر في أيام المواكب دار السلطان.

نماذج من الوزراء

- أبو الفتح الفضل جعفر بن الفرات:

كان أول من حمل لقب الوزارة بمصر منذ الفتح الإسلامي، وكان ذلك في عهد أول حاكم إخشيدي محمد بن طفيح الأخشيد (٣٢٣-٣٣٥هـ/ ٩٣٥-٩٤٦م)، وقد توفي الفضل عام ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م، فتولى ابنه جعفر الوزارة مكانه، فَظَلَّ يشغل هذا المنصب حتى نهاية الدولة الأخشيدية، وعندما حضر الفاطميون إلى مصر رفض جوهر الصقلي أن يعفي جعفراً من الوزارة؛ تمشياً مع سياسته التي كانت تقوم على عدم إحلال الشيعيين محل السنيين في المناصب دفعة واحدة حتّى لا يقف دولاب العمل الحكومي.

وقد عرض المعز لدين الله الفاطمي على جعفر بن الفرات منصب الوزارة، فاعتذر عن قبوله، فطلب إليه المعز البقاء في القاهرة بعد اعتزاله منصبه؛ ليكون على مقربة مِنْهُ حتى يستشيره في الأمور المهمة التي تعرض له.

وكان يعقوب بن كلس يعتمد على ابن الفرات في كثير من الأمور، بل إن جعفر ابن الفرات عاد إلى تولّي الوزارة في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله سنة كاملة.

وهكذا نجد جعفر بن الفرات تولى الوزارة في عهد العباسيين والأخشيديين والفاطميين.

- أبو عبد الله معاوية بن يسار:

عمل وزيراً للخليفة العباسي المهدي بن أبي جعفر المنصور. يقول ابن طباطبا في كتابه الفخري: «إن أبهة الوزارة ظهرت في عهد المهدي بسبب كفاءة وزيره أبي عبدالله معاوية بن يسار؛ فإنه رتب الدواوين، وقرّر القواعد، وكان كاتب الدنيا، وأوْحَدَ النَّاس حِذقاً وعِلْماً وخبرةً».

وكان يعمل كاتباً للمهدي ونائباً له، قبل الخلافة. ضَمَّهُ المنصور إليه، وكان قد عزم على أن يستوزره، لكنه آثر به ابنه المهدي، فكان غالباً على أمره، لا يعصي المهديُّ له أمراً. وكان المنصور لا يزال يوصيه فيه، ويأمرُه بامتثال ما يشير به.

فلما مات المنصور وجلس المهديُّ على كرسي الخلافة فَوَّضَ إليه تدبير المملكة، وسلَّمَ إليه الدواوين، وكان مقدّماً في صناعته، فاخترع أموراً؛ منها أنه نقل الخراج إلى المقاسمة، فقد كان السلطان يأخذ عن الأرض خراجاً مُقرراً ولا يقاسم، فلما ولي أبو عبد الله الوزارة قرر (المقاسمة). وهو الذي قرر الخراج على النخل والشجر، وصنَّفَ كتاباً في الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده. وهو أوّلُ من صنّفَ كتاباً في الخراج وتَبعهُ الناسُ في ذلك فصنفوا كتب الخراج.

ولم ينجُ أبو عبد الله معاوية بن يسار من مؤامرات الربيع بن يونس، برغم أن أعداءه كانوا يشهدون له بالجد والاستقامة والعدل؛ فقد وجد الربيع في عبد الله ابن الوزير مادّة للوشاية به لدى الخليفة فاتهم الربيعُ عبدَ الله

بالزندقة. فكان أن اختبره الخليفة في حفظ القرآن فوجده لا يحفظ شيئاً، وكان أبوه قد نقل إليه أنه حفّظهُ القرآن، فأمر الخليفة بقتل عبد الله. وصار الربيع بعد ذلك يوغر صدر الخليفة ضد أبي عبد الله، ويبعث في صدر الخليفة الخوف من أن يثأر منه أبو عبد الله بعد أن قتل ولده، فصرف الخليفة أبا عبد الله عن وزارته عام ١٦٣هـ/ ٧٧٩م، واقتصر به على ديوان الرسائل، ثم عزله عن ديوان الرسائل عام ١٦٧هـ/ ٧٨٣م، وقلده الربيع بن يونس.

ولقد كان أبو عبد الله معاوية بن يسار من خيرة الوزراء، وأكثرهم كفاءة، وأنصعهم تاريخاً.

(انظر: «المهدي»)

- الأفضل بن بدر الجمالي:

هو ابن بدر الجمالي الذي كان يعمل والياً على عكا في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وقد استنجد المستنصر ببدر الجمالي ليقضي على الفتن الداخلية والحروب التي قامت بين طوائف المغاربة والترك والأرمن الصقالبة والسودانيين بسبب المنافسة بينهم على السلطة في عهد المستنصر.

وكان لبدر الجمالي الفضل في إعادة النظام والحياة إلى مصر في عهد المستنصر، فقد قبض على زمام السلطة بها عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، وظل بمصر إلى أن مات، فتولى الوزارة بعده ابنه شاهنشاه بعهد من أبيه، واستبدّ بالسلطة، حتى أصبح الخليفة المستنصر في عهده كالمحجور عليه الذي لا يستطيع أن يبرم أمراً أو ينفذ إرادة.

وقد عمل الأفضل بن بدر الجمالي على الاستئثار الكامل بالسلطة بعد وفاة المستنصر، فَوَلّى المستعلي الخلافة دون أخيه نزار الذي كان يستحقها بعهد من أبيه، وقامت بسبب ذلك حروب بين أنصار الطرفين انتهت بموت نزار.

وكان الأفضل مُحبّا للعلم، فقد ترك مكتبة فخمة تضم خمسمائة ألف مجلد من الكتب، وكان يشجع الشعراء والعلماء والكتاب.

وبلغت ثروة الأفضل من الضخامة مبلغاً كبيراً، وكان في داره التي بناها عام ٥٠١هـ/ ١١٠٧م من الذخائر النفيسة والثياب والطِّيب والنحاس والآلات ما لا يُحْصى.

وانتهت حياة الأفضل بمؤامرة دبَّرَها الخليفة الآمر ٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩ لقتله، وآلت الوزارة بعده إلى عبد الله المأمون بن البطائحي.

- جعفر بن يحيى:

خلف أباه يحيي بن خالد البرمكي في الوزارة. وفي عهده قبض البرامكة على أزمَّة الحكم، وصار بيدهم الدَخْلُ والخَرْجُ، حتّى كان هارون يطلب البسيط من المال فلا يصل إليه إلا عن طريق البرامكة. فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه، فعظُمتْ آثارُهم واجتازوها، وبَعُدَ صيتُهم، وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم، واجتازوها لأنفسهم عمّن سواهم، من وزارة وقيادة وكتابة، وانصرفت نحوهم

الوجوه، وتخطّتْ إليهم من أقصى التُخومُ هدايا الملوك، وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء.

وإليك هذه القصة التي تدل على عُلُو مكانة جعفر بن يحيي لدى الرشيد:

طلب عبد الملك بن صالح العباسي إلى جعفر بن يحيي أن يخاطب الرشيد في ثلاث حوائج، هي: أن يقضي عنه ديناً مقداره ألف ألف درهم، وأن يُولّي ابنه إحدى الولايات ليرتفع بذلك قدره، وأن يُزوِّجَ هذا الابن من ابنة الخليفة؛ لأنها بنت عمه. فقضى له جعفرُ هذه الحوائج الثلاث من فورُه وقال له: أما المالُ ففي هذه الساعة يحملُ إلى منزلك، وأما الولاية فقد وليْتُ ابنك مصر، وأمَّا الزَواجُ فقد زَوّجته فلانة ابنة مولانا أمير المؤمنين على صداق مبلغه كذا كذا . . فانصرف في أمان الله.

وقد أقر الرشيد فيما بعد جعفر بن يحيي البرمكي على ما فعل.

ولقد أعاد جعفر بن يحيي الأمن إلى الشام، فقضى على الفتنة التي ثارت فيها عام ١٨٠هـ/ ٧٧٦م، وكان جعفر مخلصاً للرشيد، لكن دسائس الفضل بن الربيع أوغرت في النهاية صدر الرشيد على البرامكة. وكان الفضل يشي بالبرامكة إلى الرشيد ولخاصته، ويتهمهم بأنهم يعملون للوصول إلى الخلافة، وأنهم ملاحدة وثنيون، فكانت نكبة البرامكة، حيث قسا هارون الرشيد في معاملة جعفر، وأمر بقتله، وحبس يحيى وبقية أولاده حتى مات يحيى والفضل في السجن، وظل بقية البرامكة في السجون حتى عفا عنهم الأمين.

(انظر: «هارون الرشيد»)

- خالد بن برمك:

يرجع نسب خالد إلى جده برمك، وكان برمك كاهن بيت النّار بمدينة بلخ. وخالد بن برمك أوّلُ برمكي اتصل بالعباسيين، وكان يعمل في جيش قحطبة بن شبيب. وقد حضر خالد لمبايعة أبي العباس عبد الله السفاح، وأعجب أبو العباس بفصاحته وذكائه وثبّته على وظيفته التي كان يتقلدها في جمع وتوزيع الغنائم، وأسند إليه ديوان الخراج و ديوان الجند، وقد تقلّد خالد بن برمك الوزراة في عهد أبي العباس عبد الله السفاح بعد مقتل أبي سلمة الخلال في رجب عام ١٣٢هـ، وظل يشغل هذا المنصب طوال ما بقي من حياة السفاح، ثمَّ لمدة عام وبضعة أشهر في عهد خلافة أخيه أبي جعفر المنصور.

وكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزير ولا يُسمَّى وزيراً، فقد كان يتشاءم من لقب الوزير؛ لأنه رأى نهاية أبي سلمة الخلال.

وعن خالد بن برمك يقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب): «ولم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جَوْدَة رأيه وبأسه وجميع خلاله، لا يَحْيى في رأيه، ولا الفضلُ بن يحيى في جوده، ولا جعفر في كتابته وفصاحته، ولا محمد في رأيه وهمته، ولا موسى في شجاعته.

وقال الجاحظ: «وحدثني ثمامة قال: كان أصحابنا يقولون: لم يكن يُرَى لجليس خالد دارٌ إلا وخالد بناها له، ولا ضَيْعَةٌ إلا وخالد ابتاعها له، ولا ولدٌ إلا وخالد ابتاع أمَّه إن كانت أمَةً أو أدَّى مهرها إن كانت حُرَّةً، ولا دابَّة إلا وخالد حمله عليها».

(انظر: «أبا العباس عبد الله السفاح وأبا جعفر المنصور»)

- الربيع بن يونس:

عمل وزيراً لأبي جعفر المنصور، وقد حاز ثقته، وكان ملما بشئون الدولة، عارفاً بآداب الملوك. وقد صحب المنصور في رحلة الحج التي قام بها عام ١٥٨هـ/ ٧٧٥م، وفيها مات المنصور في السادس من ذي الحجة قبل أن يصل إلى مكة.

وقد كتم الربيع خبر وفاة الخليفة عن وجوه بني هاشم، وأوهمهم أنه لا زال على قيد الحياة، وأجلسه كما يجلس عادة في مجالسه مستعيناً بمساند، وتظاهر أمام المجلس بأنه يحادث الخليفة، ثم صرفهم وجمعهم مرة أخرى ليعلمهم بأن الخليفة يطلب منهم تأكيد البيعة للمهدي، ففعلوا وبعدها أعلمهم بوفاة الخليفة.

كان الربيع بذلك يعتقد أنه قدم خدمة جليلة للمهدي؛ إذ حدَّد له البيعة . . لكن المهدي استاء هو ووزيره أبو عبد الله بن يسار من تلك الفعلة؛ لما فيها من إيذاء لكرامة الموتى.

وظلَّ الربيع بن يونس يسعى بالدَّسِ بين الخليفة ووزيره أبي عبيد الله، حتى نجح في الوصول إلى منصب الوزير عام ١٦٧هـ/ ٧٨٣م، وظل يشغل ذلك المنصب حتى قتله الخليفة الهادي إبان خلافته.

- شاور وضرغام:

بلغ التنافس بين من يتطلعون إلى منصب الوزارة درجة كبيرة من الشدة، إلى حد جعل المتنافسين يستعين كل منهم بالقوى الخارجية لتضمن له

الجلوس على كرسي الوزارة . . ونعلم ما يمكن أن يؤدي إليه تدخلُ القوى الخارجية من الأخطار .

ففي عهد الخليفة العاضد آخر خلفاء الدولة الفاطمية ٥٥٥هـ - ٥٦٧هـ/ ١١٥٩-١١٧١م كان الصراع على أشُده بين كل من شاور بن مجير بن نزار الذي تولى بالفعل منصب الوزارة بعد أن قتل العادل بن طلائع بن رزيك، الوزير الذي كان يشغل المنصب، والذي كان قد مضت عليه سنتان في كرسي الوزارة. وكان ذلك في عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م.

وكان هناك في الوقت نفسه في بلاط الخليفة العاضد (ضرغام) الذي لم يعجبه ما حدث، فقام بثورة على شاور وخلعه وأرغمه على الهرب. وكان لا بد من حسم تلك المعركة بين شاور وضرغام. استنجد شاور بنور الدين زنكي أمير حلب، وَحثّهُ على فتح مصر، واستنجد ضرغام بن عامر اللخمي بالصليبيين.

وأسفرت الحملات الحربية، والاشتباكات القتالية عن مقتل ضرغام ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م، ومقتل شاور ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م.

وتقلد أسد الدين شركُوه وزارة العاضد، ولكنه مات، فتولّى صلاح الدين الأيوبي الوزارة مكَانه.

وكانت نهاية الخليفة العاضد ونهاية الخلافة الفاطمية معه . . فقد قطع صلاح الدين اسم الخليفة من الخطبة، ودعا للخليفة العباسي المستضيء، بدلاً منه. واستقلّ صلاح الدين الأيوبي بمصر يحكمها باسم نور الدين زنكي ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م.

- الفضل بن الربيع:

هو الفضل بن الربيع بن يونس. نجح أبوه الربيع بن يونس في الوصول إلى منصب الوزير في عهد أبي جعفر المنصور عن طريق الدَّس والوقيعة لأبي عبد الله بن يسار لدى الخليفة المهدي.

وسلك الفضل الأسلوب نفسه الذي سلكه أبوه. كان يعمل حاجباً لدى الرشيد وقد سار معه لإخضاع تمرد رائع بن ليث في خراسان، لكنَّ مرض الخليفة الرشيد حال بينه وبين مواصلة الرحلة، فتخلف ومعه الفضل بن الربيع في طوس بإقليم جرجان، ومضى المأمون وحده لمواصلة الحملة بعد أن أوْصَى الفضل بأن يلحق به. لكنَّ الفضَل بدأ يقيس الأمور بمقياس مصلحته الخاصة، فرأى أن يعود إلى بغداد ليكون بجوار الخليفة الجديد محمد الأمين.

وقد عمل الفضل بن الربيع على نقل ولاية العهد إلى موسى بن الأمين، على حين أن الرشيد كان قد أوصى بها للمأمون بعد الأمين . . وهكذا باعد الفضل بن الربيع بين الأخَوَيْن، وتسبب في قيام معارك حربية طويلة بينهما، سقط في نهايتها الأمين عام ١٩٨هـ/ ٨١٣م. وعند ذاك آثر الفضل ابن الربيع أن يختفي تماماً من مسرح الأحداث. وكان الفضل بن الربيع وراء نكبة البرامكة في عهد الرشيد؛ فهو الذي أقنع الرشيد بأنهم ملاحدة وثنيون، وأنهم يؤيدون العلويين سرّاً، وأنهم يطمعون في الخلافة. وقد ركّز في دسه على جعفر بن يحيى البرمكي الذي كان يعمل وزيراً للرشيد،

ونجح في الكيد له حتى انتهى الأمر بقتل جعفر، وصلب جثته على جسور بغداد وألقى بباقي أفراد الأسرة في السجون.

وتُعدّ مؤامرة الفضل بن الربيع أفظع مؤامرات العصر العباسي الأول وأقساها.

وقد ظلّ الفضل بن الربيع مختفياً إلى أن قدم المأمون إلى بغداد واستقر له الأمر، فتوسل الفضل إليه، أن يغفر له جريمته الكبرى؛ فغفر له، واكتفى بأن أهمله، ولم يستخدمه، فكانت مرتبته منحطة في دار المأمون، وظلّ كذلك إلى أن مات عام ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م.

- الفضل بن سهل ١٥٤-٢٠٢هـ/ ٧٧١-٨١٨م:

هو الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس. كان الفضل بن سهل مؤدبَ المأمون، وكان منذ عهد الرشيد يكتب له ويتولّى أمْرَه كُله، وقد صاحب الفضل المأمون في الحملة التأديبية التي قادها المأمون للقضاء على ثورة رائع بن ليث في العام الأخير من حياة الرشيد، وإليه يرجع الفضل في تطويع أبناء خراسان للمأمون، بحيث صاروا يحبونه ويحترمونه، بل إن رافع بن ليث دخل في طاعته عام ١٩٤هـ/ ٨٠٩م.

ويرى بعض المؤرخين أن دولة المأمون كانت منحة قدّمها له الفضل بن سهل، فهو الذي أقنعه بالتمسك بحقه في أن يتولى الخلافة بعد الأمين، وأن يهبّ للدفاع عن هذا الحق عندما أراد أخوه الأمين أن ينكث بعهد أبيهما الرشيد الذي كان قد أوصى بأن تكون الخلافة للمأمون بعد الأمين. ولكن هذا الأخير كان يريد أن يجعل ولاية العهد لابنه موسى.

وقد أقنع الفضلُ بن سهلٍ المأمونَ بالاستعداد لمواجهة الأمين وأعدَّ له العُدَّة اللازمة من الرجال والسلاح للدفاع عن حقه وتحقق له النصر بعد مقتل قائدي الأمين، ابن ماهان وعبد الرحمن بن جبلة.

ويقول ابن الأثير في كتابه (الكامل): إنه لما صح عند المأمون خبر قتل ابن ماهان وعبد الرحمن بن جبلة، قائدي الأمين أمر المأمون أن يُخْطبَ له ويخاطبَ بأمير المؤمنين.

ودعا الفضل بن سهل، وعهد له على المشرق، وجعل له عمالة قدرها ثلاثة ملايين من الدراهم، وعقد له لواءً على سنان ذي شعبتين، ولقبّه ذا الرياستين: رياسة الحرب، ورياسة التدبير، وولى شقيقه الحسن بن سهل ديوان الخراج. والفضل ابن سهل هو أول وزير يجتمع له لقب (ذي الرياستين).

وقد حاول الفضل بن سهل الاستئثار بالسلطان بعد مقتل الأمين فعين أخاه الحسن بن سهل والياً على العراق، وكان للفضل السلطان في خراسان، وأبعد الفضل القائدين المظفرين طاهر بن الحسن وهرثمة بن أعين اللذين كان لهما الفضل في انتصار المأمون على الأمين عن العاصمة، وعمل على تعيين ولي للعهد من العلويين مما أثار ثائرة البغداديين.

وقد أدرك المأمون خطر الفضل بن سهل. ويروي الطبري أن الفضل كان قد شعر بتغير المأمون عليه فارتحل من مرو، حيث كان المأمون قاصداً مسقط رأسه (سرخس)، فشدّ قوم عليه وهو بالحمّام فضربوه بالسيوف حتى مات، وكان ذلك في يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة اثنتين ومائتين.

- نِظَامُ المُلْكِ:

من الوزراء الأفذاذ في التاريخ الإسلامي الطويل، تولى الوزارة في عهد السلاجقة (٤٣٢-٥٨٣هـ/ ١٠٤٠-١١٨٣م)، وتولاها من بعده سبعة من أبنائه، وكان له باع كبير في السياسة والحرب، وكانت له إسهامات كبيرة في نشر الثقافة والمعرفة ورعاية العلم والعلماء.

أخلص نظام الملك لسلاطين الدولة السلجوقية، فكان له أثر كبير في معاونة ألب أرسلان على الوصول إلى السلطنة. وصحبه نظام الملك في معظم حروبه. وهو الذي وَطَّدَ المُلْكَ للملك ملكشاه بعد اغتيال ألب أرسلان، وخاض في سبيل ذلك الكثير من المعارك، فعرف له ملكشاه الجميل وقال له: أنت الوالد. ولقّبه (أتابك) وأقطعه إقطاعاً زائداً، وتفرغ ملكشاه لملذاته.

كان نظام الملك فيلسوفاً عالماً يحب العلماء ويقربهم، ولقد أنشأ شبكة من المدارس التي تحمل اسمه فَسُميت (المدارس النظامية)، وتُعدّ من أقدم الجامعات في العالم، وكانت في بغداد، وبلخ، ونيسابور، وهراة، وأصفهان، والبصرة، ومرو، والموصل وغيرها.

ويقول السبكي في كتابه (طبقات الشافعية الكبرى) ج ٣ ص ٤٣٧:

كان لنظام الملك في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة. وقد دعا نظام الملك عباقرة عصره كالغزالي الذي اشتهر في محيط العلوم الإسلامية والتصوف والفلسفة، وكان ألمع مدرسي المدارس النظامية، و عمر الخيام الذي اشتهر في الدراسات الطبيعية والرياضية، وعرف في أوربا برباعياته.

لقد خاض نظام الملك حروباً عديدة مع ألب أرسلان ومع ابنه ملكشاه تم الاستيلاء فيها على العديد من الحصون والحاميات، وكُتب فيها النصر للمسلمين على الروم.

وكانت نهاية نظام الملك على يد طائفة الحشاشين الذين أنفذوا فيه حكم الموت.

والحشاشون جماعة نشرت الذعر في كثير من البلاد الإسلامية في عهد السلاجقة، كان يتزعمهم الحسن بن الصباح، وكانت لهم أفكار سياسية ودينية متطرفة، وقد قضى السلطان بيبرس عليهم، فاحتل معاقلهم بسورية في الوقت الذي احتل فيه المغول مواقعهم في فارس.

- يحيى بن خالد:

هو يحيى بن خالد بن برمك، كان محظوظاً في بلاط المنصور والمهدي، وقد تربى الرشيد في حجره، ورضع من زوجته. . وأغْدَقَ عليه يحيى حُبَّه وعطفه وحنانه، وكان الرشيد يناديه (أباه). وقد قام يحيى على تربية الرشيد فأحسنها، فكان يحيى له مُرَبياً وأباً.

يروي ابن الأثير أنه لما تَقَلد هارون الخلافة دعا يحيى بن خالد فقال له: «يا أبت، أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك، وحسن تدبيرك، وقد قَلدتُك أمرَ الرعية، وأخرجته من عنقي إليك فاحكم بما ترى، واستعمل من شئت، واعزل من رأيت، فإني غيرُ ناظر معك في شيء، ودفع إليه خاتَمهُ، فنهض يحيى بن خالد بأعباء الدولة أتم نهوض، وسد الثغور، وتدارك

الخلَلَ، وجبى الأموال، وعَمَّر الأطراف، وأظهر رونق الخلافة، وتصدى لمهمات المملكة، وكان كاتباً بليغاً لبيباً سديداً صائب الآراء، حسن التدبير، ضابطاً لما تحت يده، قوياً على الأمور، جواداً يباري الريح كرماً وجوداً، ممدَّحاً بكل لسان، حليماً عفيفاً وقوراً مهيباً.

وكان يحيى يحظى بعطف الخيزران، أم الرشيد، وكان يعرض عليها أمور الدولة، ويوردُ ويُصدرُ عن أمرها . . فلمّا ماتت الخيزران ١٧٣هـ-٧٨٩م استقلَ يحيى بالأمر.

ومن أعمال يحيى أنه شقَّ نهراً كان يسمى (أبا الجنة) ازدهرت بسببه أرض واسعة كانت جرداء، وأمر بإجراء القمح على أهل الحرَمَيْن، وكان يحمله من مصر إليهم، وأجرى الأرزاق على أحفاد المهاجرين والأنصار، وعلى أهل الدين والآداب، وأنشأ كتاتيب لليتامى.

(انظر: «هارون الرشيد»)

- يعقوب بن كِلس ٣١٨-٣٨٠هـ/ ٩٣٠-٩٩٠م:

هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس، أبو الفرج، كان يهودي الأصل، ولد ببغداد؛ ونشأ بها، وقد قدم إلى مصر عام ٣٣١هـ / ٩٤٢م في عهد الأخشيد، مؤسس الدولة الأخشيدية، واتصل بكافور الأخشيدي، فعينه في ديوانه الخاص، وأسلم يعقوب وصَلّى في الجامع فزادت مكانته عند كافور.

وقد سار ابن كِلس إلى المغرب بعد وفاة كافور الأخشيدي عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م، وعمل في خدمة المعز لدين الله الفاطمي، وحضر معه إلى

مصر عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م، وأسند إليه المعز إدرة شئون الدولة الفاطمية الحربية والمدنية.

وكان يعقوب بن كلس يجلس للمظالم كل يوم بعد صلاة الصبح فيدخل عليه الناس بظلاماتهم وحاجاتهم واتخذ في قصره عدَّة دواوين أسند إليها النظر في شؤون الجيش والمالية والسجلات والخراج . . وَعَيَّنَ لكل ديوان من يحتاج إليهم من الموظفين. وأفرد يعقوب بن كلس في قصره جانباً خاصا للعلماء والشعراء والأدباء والفقهاء وعلماء الكلام والصناع، وأجرى عليهم رواتب كبيرة كانت تدفع إليهم بانتظام، وجعل في قصره مستشفى زوّدَه بعدد كبير من الأطباء لفحص المرضى وإعطائهم الدواء بدون ثمن.

وفي عام ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م كان ليعقوب بن كلس أثر في تحويل الأزهر الشريف إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية، وكانت تلك الجامعة تحت إشرافه.

يقول ابن تغري بردي في يعقوب بن كلس: «كان يعقوب بن كلس من أكبر أسباب حركة المعز وإرسال جوهر القائد إلى الديار المصرية. وفي سنة ٣٦٨هـ لقبه المعز بالوزير الأجل، ثم اعتقله عام ٣٧٣هـ وأطلقه بعد شهور، فعاد إلى القاهرة وفيها العزيز بن المعز، فَوَلي وزارته وعظمت منزلته عنده. وصنف كتاباً في الفقه يعرف بالرسالة الوزيرية، أخذ عنه المعز وابنه العزيز. وكان يعقد المجالس في الجامع العتيق، فيقرر المسائل الفقهية على حسب مذهبهم، وتوفي أيام العزيز فألحده بيده، وأمر بإغلاق الدواوين أياماً بعده».

وقيل إنه كان حسن إسلامه، وقرأ القرآن والنحو، وكان يجمع العلماء والفضلاء.

- الأسطول:

مجموعة من السفن تُعَدُّ للحربِ أو النقل، ويُقال للطائرات أيضاً: أسطول جوي.

والأسطول من معدات الدولة، وقواتها المسلحة، من سفن وغواصات؛ وبوارج؛ وفرقاطات، وحاملات جنود وطائرات وغيره، وهناك الأسطول الجوي الذي يضم قاذفات القنابل، وحاملات الجنود، وطائرات للتجسس.

وفي السلم تطلق لفظة الأسطول على البحرية التجارية.

وقد أصبح الأسطول ضروريا في حياة الأمة الإسلامية عندما فتح المسلمون البلاد المشرفة على البحر مثل الشام وفلسطين ومصر التي اشتهرت بها المراكب النيلية أيضاً.

وتطلق لفظة الأسطول في العصر الحديث على القوات البحرية أو الجوية التي تملكها دولة من الدول.

ولكل سفينة حربية من سفن الأسطول قائد يدير أمرها، ويدرب جنودها.

وكل أسطول بحري له قائد يسمى أمير البحر، ومنه اشتق اللفظ الأجنبي (أدميرال) (انظر: «أمير البحر»)

وتفْردُ الدولُ للأسطول جزءاً كبيراً من ميزانيتها المالية العامة.

وفي اللغة: الأسطول مفرد، جمعه أساطيل. وهو يوناني مُعَرَّبٌ.

- البحرية:

عُدَّة الدُول وقوتها في البحر من سفن وغواصات، وبوارج وفرقاطات وغيرها؛ فهي وسيلة التعامل مع البحر في السلم والحرب. ولم يكن للعرب تعامل مع البحر في بداية الإسلام، حتى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقد عزل الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - العلاء الحضرمي والي البحرين الذي غامر وتوجه لغزو فارس بحراً في اثني عشر ألفاً من المسلمين دون أن يستأذن الخليفة، برغم كثرة الغنائم التي عاد بها؛ لأنه خاطر وعرَّضَ المسلمين للخطر.

وقد رفض الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أيضاً طلب عمرو ابن العاص والي مصر بأن يتخذ من الإسكندرية حاضرة لولاية مصر، حيث سأل الخليفة واليه عمرو بن العاص: هل يحول بيني وبين الناس ماء؟ فأجاب عمرو: نعم. إذا جرى النيل. فكتب إليه الخليفة بالرفض. فلم تكن الأمة الإسلامية أمة بحرية حتى نهاية خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ويرجع ابن خلدون في مقدمته ذلك إلى أن العرب أمة بدوية؛ فلم يكونوا أول أمرهم مهرة في البحر وثقافته كالإفرنجة لممارستهم أحواله،

فلما استقر الملك للعرب، وشمخ سلطانه، وصارت بلاد البحر تحت أيديهم برعوا فيه في عهد الخليفة عثمان بن عفان، واستمر تقدمهم، كما بدأ في الشام، وإفريقية والأندلس.

وقد ركب العرب البحر في عهد الخليفة عثمان بن عفان تحت إلحاح من معاوية ابن أبي سفيان والي الشام، وقد اشترط عليه الخليفة ألا يحمل أحداً على ركوبه كرهاً. ثم تفوق المسلمون على غيرهم في الأمور البحرية، وأصبح لهم قوة بحرية هائلة الأثر في السلم والحرب، وأصبح للأسطول الإسلامي تاريخ عظيم بعد أن تعلموا البحرية من البيزنطيين.

وفي اللغة: البحرية من: بَحَرَ، بَحْراً. أي رأى البحر فَفَرِقَ وهش، وتَحيرَ من الفزع. والبَحْرُ: الماء الواسع الكثير.

- أمير البحر:

وظيفة من الوظائف التي عرفتها الحضارة العربية، وهي تُمنح قائدَ الأسطول البحري.

ويشرف أمير البحر على كل شيء في السفن؛ من تدريب العاملين بها من ضباط وجنود وعمال، ويسمون البحارة. ويُعَيِّنُ قباطنة السفن، كما يشرف على تجهيزات السفن في السلم والحرب، ورئيس كل سفينة يعد مسئولاً أمام أمير البحر.

ومن كلمتي (أمير البحر) اشتقت الكلمة الإفرنجية أدميرال "ADMIRAL" وتعني المعنى نفسه الذي تعنيه الكلمة العربية.

وأمير البحر يُعدُّ في العصر الحديث بمثابة قائد القوات البحرية.

- الثغر:

البلد، أو الموضع الذي يطل على البحر، ويُخشى منه هجوم العدو على هذا الثغر. والثغر البحري يكون به مرافئ للسفن.

وتكون حماية هذه الثغور عادة مسؤولية سلاح البحرية من الجيش.

وفي اللغة: الثغر الموضع، يخاف منه هجوم العدو، ولذلك سميت المدينة التي على شاطئ البحر ثغراً.

- مَرْكَب:

ما يركب في البحر، وتطلق أيضاً على السفينة، وقد تكون جزءاً من الأسطول البحري، كما تكون أيضاً آلة يستخدمها الناس في تنقلاتهم عبر البحار.

وفي اللغة: المَرْكَبُ: من الفعل: رَكِبَ، يركَبُ، ركوباً فهي مَرْكَبٌ، وجمعها: مراكب. وقد جرى استعمالها على ما يركب في البحر كالسفينة وغيرها.

- البريد

أداة من أدوات الخدمات التي تسهم بفاعلية في إدارة شئون الدولة. ويرجع أصله إلى تلك الدابة التي كانت تحمل الرسائل في مسافات طويلة وقد اختلف حول تقديرها.

وقد عرف العرب البريد عن طريق الروم، وأحكم أمره في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ٦٥-٨٥هـ/ ٦٨٤-٧٠٤م. ومما ينسبه إليه القلقشندي في ذلك قوله: قال الخليفة عبد الملك بن مروان إلى أحد رجاله: لا تحجب عني أربعة... والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه فربما أفسد على القوم سَنَة حَبْسُهُم البريدَ ساعة.

وكان البريد في أول الأمر خاصّا بمصالح الدولة، وكان له في العهد الأموي ديوان خاص به (وهو ما يشبه مصلحة البريد الآن).

وفي اللغة: بريد مفرد، وجمعه بُرُد. وهو حامل الرسائل الآن، أو ما يعرف بساعي البريد.

- الحمام الزاجل:

نوع من الحمام كان يستخدم في إرسال الرسائل الموجزة إيجازاً شديداً والمرسلة إلى مسافات بعيدة كالبريد الآن. وتشد هذه الرسائل تحت جناح الحمامة أو إلى ذيلها، وكانت الرسالة تكتب من صورتين مع حمامتين تطلق إحداهما بعد ساعتين من إطلاق الأخرى، حتى إذا قتلت إحداهما أو ضلت الطريق أمكن الاعتماد على الأخرى.

وقد جرت العادة على عدم إرسال الرسائل مع الحمام الزاجل في الأيام الممطرة. ولا مع الحمام الجائع؛ فلا بد من تغذيته تغذية جيدة.

وكان البريد السلطاني يرسل بواسطة حمام مميز بعلامات خاصة، حتى إذا وصل تولى السلطان فضّ الرسالة بنفسه.

وقد استخدم الظاهر بيبرس في مصر الحمام الزاجل في رسائله.

- صاحب البريد:

هو من يراقب الولاة ويتجسس على الأعداء، فهو أشبه ما يكون بجهاز المخابرات الآن.

وقد كانت وظيفة صاحب البريد في أول الأمر نقل أخبار عمال الأقاليم والأمصار إلى الخليفة، وكان بمثابة عين للخليفة على ولاة الأقاليم، ينقل إليه أخبارهم، ويحمل إليه أسرارهم.

ومما يرويه الطبري عن أبي جعفر المنصور أنه كان يقول: يستند الحكم على أربعة.. وصاحب بريد يكتب إليَّ بِخَبَرِ هؤلاء الولاة على الصحة.

وكان الولاة كثيراً ما يتفقون على كلمة سر بينهم وبين الملوك والخلفاء، فلا يعتمد الحاكم على كتاب صاحب البريد إلا إذا كان يحمل تلك العلامة.

- الحسبة

نظام مؤداه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لمراعاة أحكام الشرع، والمحافظة على الآداب والفضيلة والأمانة والنظام العام في الأسواق، ودقة الموازين والمكاييل، ونظام البناء. وهو منصب شريف من مناصب الدولة الإسلامية، يسمى من يتولاه المحتسب.

والخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أول من وضع نظام الحسبة في الأمة الإسلامية، وقام بنفسه بعمل المحتسب. ومن المشهور المتواتر عنه - رضي الله عنه- أنه رئي مرة يضرب جمّالاً ويقول له: «حمَّلت جملك ما

لا يطيق». وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يشرف على نظام الحوانيت وبروزها في الطرقات بما لا يعوق نظام المرور، وكان يطوف بالأسواق لمراقبة النظام.

فالحسبة نظام من أنظمة الدولة الإسلامية القائم على الشدة والسرعة في الفصل في الأمور، وإقامة النظام.

وفي اللغة: الحسبة من الحساب، والحَسْبُ: أي التقدير والعدُّ. وهي أيضاً من الحسيب أو المحاسب.

قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ [١٤- الإسراء]

- الشرطة

جهاز من أجهزة الدولة، يعتمد عليه الحاكم في حفظ النظام واستتباب الأمن؛ وتأديب الجناة والمفسدين، فهي تطلق على حَفَظة أمن البلاد.

وكانت الشرطة في الدولة الإسلامية في أول نشأتها تابعة للقضاء؛ فهي التي تنفذ أحكامه، وتقيم الحدود، ثم استقلت عن القضاء في كثير من البلدان مع ترابط أجهزة الدولة وتعاونها في حفظ النظام.

وباستقلال الشرطة أصبح هناك وظيفة صاحب الشرطة، وهو رئيس الشرطة الذي يساعد الحاكم في حفظ النظام، وتنفيذ الأحكام، وهو يشبه الآن المحافظ؛ أو أمير المنطقة.

ولقب (صاحب الشرطة) أول ما عُرِفَ في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكان صاحب الشرطة يصلي بالناس إذا غاب الأمير أو الوالي، وهو الذي يتولى التصرف في أعطيات الجند.

وصاحب الشرطة كان يطلق عليه في بلاد المغرب العربي بإفريقية اسم الحاكم، وكان يسمى في بلاد الأندلس باسم (صاحب المدينة) وقد سمي في مصر في عهد المماليك باسم (الوالي).

وفي اللغة: الشُّرْطَةُ: حفظة الأمن في البلاد، وأحدها: شُرْطيٌّ أو شُرَطيّ. وهو من: شَرَطَ يشْرُط، شُرْطَة.

- العسس:

هو نظام كان يستخدمه الحكام لمعرفة أحوال الناس، وكشف أهل الريبة، والاطمئنان على سير الأعمال الإدارية، وسلامة أفراد الشعب بانتشار أفراد ثقات يجمعون المعلومات عن الرعية وأحوالها، ويطوفون ليلاً خلال الديار للاطمئنان على شيء ما، أو كشف أهل السوء والريبة.

والخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أول من أدخل نظام العسس في نُظُمِ الأمة، وكان يقوم به بنفسه حتى يطمئن على أحوال الرعية.

وفي اللغة: العسس: من عَسَّ: أي طاف ليلاً. ومن يقوم بذلك يسمى (عاسّ)، وجمعه عَسَسُ وعَساس. ويقال: عَسْعَسَ الليل: أي أتى وأقبل بظلامه، وعَسْعَسَ الشيءَ: حركه. قال تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ** (١٧) **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ**﴾ [١٦- التكوير]

***